زوائد المؤلفات على
كتب المنهج الدراسي

رسالة شرعية عالمية
معهد المنهج الدراسي الميسر
من الصف الأول إلى الثاني عشر

شرح

قصيدة

خَلِّ ادِّكَارَ الأرْبُعِ

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى



زوائد المؤلفات على
كتب المنهج الدراسي الميسر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله، أما بعد:

فهذه تعليقات على قصيدة (خل ادكار الأربع) للأديب أبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري (ت ٥١٠) ذكرها في «المقامات» في المقامة البصرية، وفيها مواعظ وعبر، وحِكم ودرر، يستفيد منها المسلم عموماً وطالب العلم خصوصاً، ويعظم النفع بفهم المعاني ومعرفة المقاصد، والحريري له شطحات كثيرة، وهذه القصيدة خالية منها.

والله ولي التوفيق.

كتبه / أبو عبد الله المصنعي

ربيع ثاني عام ١٤٣٥هـ

❊❊❊❊

خَلِّ ادِّكارَ الأَرْبُعِ

١ خَلِّ ادَّكَارَ الأَرْبُعِ *** والمَعْهَدِ المُرْتَبِعِ
٢ والظَّاعِنِ المُوَدَّعِ *** وعَدِّ عَنهُ وَدَعِ
٣ واندُبْ زَمَانًا سَلَفَا *** سَوَّدَتَ فِيهِ الصُّحُفَا
٤ ولَمْ تَزَلْ مُعْتَكِفَا *** على القَبِيْحِ الشَّنِعِ
٥ كَمْ لَيْلَةٍ أَوْدَعْتَهَا *** مآثِمًا أَبْدَعْتَهَا
٦ لِشَهْوةٍ أَطَعْتَهَا *** في مَرْقدٍ ومَضْجَعِ
٧ وكَمْ خُطًى حَثَثْتَهَا *** في خِزْيَةٍ أَحْدَثْتَها
٨ وتَوْبَةٍ نَكَثْتَهَا *** لِمَلْعَبٍ وَمَرْتَعِ
٩ وكَمْ تَجَرَّأْتَ عَلَى *** رَبِّ السَّماواتِ العُلَى
١٠ ولم تُرَاقِبْهُ وَلاَ *** صَدَقْتَ فِيمَا تَدَّعِي
١١ وكَم غَمَصْتَ بِرَّهُ *** وكَمْ أَمِنْتَ مَكْرَهُ
١٢ وكَم نَبَذْتَ أَمْرَهُ *** نَبْذَ الحِذَا المُرَقَّعِ
١٣ وكَمْ رَكَضْتَ في اللَّعِبْ *** وفُهْتَ عَمْدًا بالكَذِبْ
١٤ ولم تُراعِ مَا يَجِبْ *** مِن عَهْدِهِ المُتَّبَعِ
١٥ فالْبَسْ شِعَارَ النَّدَمِ *** واسْكُبْ شآبِيْبَ الدَّمِ
١٦ قَبْلَ زَوَالِ القَدَمِ *** وقَبْلَ سُوءِ المَصْرَعِ

١٧ واخْضَعْ خُضُوعَ المُعْتَرِفْ ... ولُذْ مَلاَذَ المُقْتَرِفْ

١٨ واعْصِ هَوَاكَ وانْحَرِفْ ... عَنْهُ انْحِرَافَ المُقْلِعِ

١٩ إلاَمَ تَسْهُو وَتَنِي ... ومُعْظَمُ العُمْرِ فَنِي

٢٠ فِيمَا يَضُرُّ المُقْتَنِي ... ولَسْتَ بالمُرْتَدِعِ

٢١ أَما تَرى الشَّيْبَ وَخَطْ ... وخَطَّ في الرأسِ خُطَطْ

٢٢ ومَن يَلِحْ وخْطُ الشَّمَطْ ... بِفَوْدِهِ فَقَدْ نُعِي

٢٣ وَيْحَكِ يا نَفْسُ احْرِصِي ... عَلى ارْتِيَادِ المَخْلَصِ

٢٤ وطَاوِعِي وأخْلِصِي ... واسْتَمِعِي النُّصْحَ وَعِي

٢٥ واعْتَبِري بمَنْ مَضَى ... مِنَ القُرُونِ وانْقَضَى

٢٦ واخْشَيْ مُفَاجَأَةَ القَضَا ... وحَاذِرِي أَنْ تُخْدَعِي

٢٧ وانْتَهِجِي سُبْلَ الهُدَى ... وادَّكِرِي وَشْكَ الرَّدَى

٢٨ وَأَنَّ مَثْوَاكِ غَدَا ... في قَعْرِ لَحْدٍ بَلْقَعِ

٢٩ آهًا لَهُ بَيْتُ البِلَى ... والمَنْزِلُ القَفْرُ الخَلاَ

٣٠ ومَوْرِدِ السَّفْرِ الأُوَلَى ... واللاَّحِقِ المُتَّبَعِ

٣١ بَيْتٌ يُرَى مَنْ أُودِعَهْ ... قَدْ ضَمَّهُ واسْتَوْدَعَهْ

٣٢ بَعْدَ الفَضَاءِ والسَّعَةْ ... قَيْدَ ثَلاَثِ أَذْرُعِ

٣٣ لا فَرْقَ أَنْ يَحُلَّهُ ... دَاهِيَةٌ أَوْ أَبْلَهُ

٣٤ أَوْ مُعْسِرٌ أَوْ مَنْ لَهُ ... مُلْكٌ كَمُلْكِ تُبَّعِ

٣٥ وبَعْدَهُ العَرْضُ الَّذِي ... يَحْوِي الحَيِيَّ وَالبَذِي

٣٦ والمُبْتَدِي والمُحْتَذِي ... ومَنْ رَعَى ومَنْ رُعِي

٣٧ فيَـــــا مَفَـــــازَ المُتقَّـــــــى ورِبْـــحَ عَبْـــدٍ قَـــدْ وُقِـــي

٣٨ سُـــوءَ الحِسَـــابِ المُوبِـــقِ وهَـــوْلَ يَـــومِ المَفْـــزَعِ

٣٩ ويــا خَسَــارَ مَــنْ بَغَــى ومَــن تَعَــدَّى وطَغَــى

٤٠ وشَـــبَّ نِـــيْرانَ الـــوَغَى لِمَطْعَـــمٍ أَوْ مَطْمَـــعِ

٤١ يــا مَــنْ عَليــهِ المُتَّكَــلْ قَــد زَادَ مَــا بِي مِــن وَجَــلْ

٤٢ لِمَــا اجْتَرَحْــتُ مِــن زَلَــلْ فِي عُمْـــرِي المُضَـــيَّعِ

٤٣ فــاغْفِرْ لِعَبْــدٍ مُجْــتَرِمْ وارْحَــمْ بُكَــاهُ المُنْسَــجِمْ

٤٤ فأنــتَ أَوْلَى مَــن رَحِــمْ وخَــيْرُ مَــدْعُوٍّ دُعِــي



١	خَـــلِّ ادِّكَـــارَ الأَرْبُـــعِ	والمَعْهَـــــــدِ المُرْتَبِـــــــعِ
٢	والظَّــــاعِنِ الُمــــوَدَّعِ	وعَـــدِّ عَنـــــهُ وَدَعِ
٣	وانـــدُبْ زَمَانًـــا سَـــلَفَا	سَـــوَّدَتَ فِيـــهِ الصُّـــحُفَا
٤	ولَمْ تَـــزَلْ مُعْتَكِفَـــا	عـــلى القِبَـــيْحِ الشَّـــنِعِ

الشرح

١- (خَلِّ) اترك (ادِّكَارَ) تذكر واستحسان (الأَرْبُعِ) جمع رَبْع، وهي الدار ومحل الإقامة والسكن والراحة، (والمَعْهَدِ) المكان الذي عهد التردد عليه بين الحين والآخر، (المُرْتَبِعِ) المنزل الذي ينزله في الربيع، يقول: اترك التفكر والتذكر في هذه الأمور الدنيوية والملذات.

٢- (والظَّاعِنِ المُوَدَّعِ) الظاعن: المرتحل، أي: كل ما سبق مرتحل عنك ومودع لك، وقد يراد به النساء، والأول أحسن. (وعَدِّ) جاوزه، (وَدَعِ) اترك التفكر فيها.

٣- (واندُبْ) ابكِ واحزن (زَمَانًا سَلَفَا) مضى وانقضى، (سَوَّدَتَ فِيهِ الصُّحُفَا) سودت صحف أعمالك بالخطايا والآثام وارتكاب الحرام، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أمسك عليك لسانك، وابكِ على خطيئتك»، ومن لم يبكِ ذنوبه في الدنيا بكاها في الآخرة، ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [سورة النبأ:٤٠]، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [سورة الفجر:٢٣].

٤- (ولَمْ تَزَلْ) مستمراً (مُعْتَكِفَا) ملازماً (على القِبَيْحِ الشَّنِعِ) الذنوب القبيحة الفظيعة والكبائر، فالويل لمن هذا حاله، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف:٩٩].



٥	كَـــمْ لَيْلَـــةٍ أَوْدَعْتَهَـــا	مَــــــآثِمًا أَبْــــــدَعْتَهَا
٦	لِشَـــــــهْوةٍ أَطَعْتَهَـــا	في مَرْقِــــدٍ ومَضْـــــجَعِ

الشرح

٥- أخذ يعدد ذنوبه ويعاتبه عليها فيقول: (كَمْ لَيْلَةٍ) من الليالي، ويدخل فيها الأيام عند الإطلاق، (أَوْدَعْتَهَا) عملت فيها، فحفظت عملك كالوديعة تحفظ ثم ترد لصاحبها، والأعمال تودع في أزمانها إلى يوم القيامة، ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة النحل:١١١]، ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الجاثية:٢٩]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [سورة الزلزلة:٧-٨]، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الجاثية:٢٨]، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الكهف:٤٩].

(مآثِمًا) جمع إثم، والمراد: الذنوب التي يأثم مرتكبها.

(أَبْدَعْتَهَا) اخترعتها وتفننت في ممارستها.

٦- (لِشَهْوةٍ أَطَعْتَهَا) انقدت وراء الشهوات والنفس الأمارة بالسوء، (في مَرْقِدٍ ومَضْجَعِ) محرم كالزنا والخمر وغير ذلك من الذنوب، ولم تتفكر ما ستلقى غداً بين يدي ربك، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [سورة الحشر:١٨].



٧	وكَـــمْ خُطًّـــى حَثَثْتَهَـــا	في خِزْنَـــــةٍ أَحْـــــــدَثْتَها
٨	وتَوْبَـــــةٍ نَكَثْتَهَـــا	لِمَلْعَـــــبٍ وَمَرْتَـــــــعِ
٩	وكَـــمْ تَجَــــرَّأْتَ عَـــلَى	رَبِّ السَّـــــماواتِ العُـــــلَى
١٠	ولم تُرَاقِبْـــــــــــــــهُ وَلاَ	صَـــــدَقْتَ فِـــيُمَا تَــــدَّعِيْ

الشرح

٧- (وكَمْ خُطًى) مشيت (حَثَثْتَهَا) أسرعت بها حرصاً منك على إدراك الذنب ولم تبال بالعواقب (في خِزْنَةٍ) البلية والذنب الذي يستحي منه فاعله أمام الناس، (أَحْدَثْتَها) فعلتها وتجاسرت على ممارستها، فأين المفر؟

٨- (وتَوْبَةٍ) وكم توبة (نَكَثْتَهَا) نقضتها بالمعاودة إلى الذنب بعد تركه، فالتوبة: الإقلاع عن الذنب والندم على فعلها، والعزم على أن لا يعود إليه.

(لِمَلْعَبٍ) تلهو به (وَمَرْتَعِ) ومأكل وملذات رتعت فيها في الحرام، ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [سورة الحديد:٢٠] الآية. ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة النحل:١١٧]، فهذه المراتع والملاعب والمحرمات متاع قليل وإثمها وعقابها أليم.

إن أَهنـــى عِيشـــةٍ قَضـــيتها ذهبـــت لـــذاتُها والإثـــم حَـــلْ

٩- (وكَمْ تَجَرَّأْتَ) ولم تستح ولم تبال وارتكبت الذنب بجراءة، والله يعلمك ويراك، (العُلَى) المرتفعة.

١٠- (ولم تُرَاقِبْهُ) في سرك وخلواتك، (وَلاَ صَدَقْتَ فِيُمَا تَدَّعِيْ) من حبه والخوف منه والرغبة إليه ... ادَّعيت هذا وعملك يخالفه، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾

١١	وكَــــم غَمَصْــــتَ بِــــرَّهُ	وكَــــمْ أَمِنْــــتَ مَكْــــرَهُ
١٢	وكَــــم نَبَــــذْتَ أَمْــــرَهُ	نَبْــــذَ الحِــــذَا المُرَقَّــــعِ
١٣	وكَــــمْ رَكَضْــــتَ في اللَّعِــــبْ	وفُهْــــتَ عَمْــــدًا بالكَــــذِبْ
١٤	ولم تُــــراعِ مَــــا يَجِــــبْ	مِــــن عَهْــــدِهِ المتَّبَــــعِ

الشرح

١١- (وكَم غَمَصْتَ) احتقرت ولم تشكر (بِرَّهُ) إحسانه وفضله عليك، (كَمْ أَمِنْتَ) ولم تخف مفاجأة عقوبته (مَكْرَهُ) استدراجه لك ثم أخذك بغتة، ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف:٩٧-٩٩].

١٢- (وكَم نَبَذْتَ) تركت ولم تلتفت إليه (أَمْرَهُ) أمره بالطاعة أو نهيه عن المعصية، قال تعالى في اليهود: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [سورة البقرة:٩٣]، وهذه الثلاث أمهات الذنوب: عدم الشكر، والأمن من مكر الله، ومعصية أمره، أعاذنا الله من ذلك!

(نَبْذَ الحذَا المُرَقَّعِ) كأن المعنى: المرقع إذا تقطع فيكون هكذا (نبذ الحذا المقطع) لا يبالي الإنسان به إذ لا يصلح للاستعمال.

١٣- (وكَمْ رَكَضْتَ) الجري (في اللَّعِبْ) في ملاهي الدنيا ولذاتها واغتررت بها، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [سورة الحديد:٢٠].

(وفُهْتَ) نطقت وتكلمت (عَمْدًا) قاصداً (بالكَذِبْ) المحرم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [سورة يونس:٦٩]، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الكذب يهدي إلى الفجور»

الحديث.

١٤- (ولم تُراع) وتحفظ (مَا يَجِبْ) حفظه (مِن عَهْدِهِ) أمره الذي عهد به إلى عباده بأن يطيعوه ولا يعصوه، (المتَّبِعِ) الواجب عليك اتباعه، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء:٢٣] الآيات. ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [سورة الأعراف:٣]، ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠﴾ [سورة يس:٦٠]، فمن عصى ربه ومولاه وأطاع الشيطان فقد نقض عهد الله تعالى.



١٥ فـــالْبَسْ شِـــعَار النَّـــدَمِ	واسْـــكُبْ شـــآبيْبَ الـــدَّمِ
١٦ قَبْـــــلَ زَوَالِ القَـــــدَمِ	وقَبْـــلَ سُـــوءِ المَصْرَـــعِ

الشرح

١٥- (فالْبَسْ) كن لابساً بالندم والتوبة، (شِعَار النَّدَمِ) أعظم الندم، والشعار: الملابس التي تلي البدن، والمعنى: ليكن الندم محيطاً بقلبك كالثياب الملاصقة للبدن.

(واسْكُبْ شآبيْبَ) الدفعة من المطر الشديد، والمراد: ابكِ حتى تسيل دموعك كالمطر ندماً على ما مضى من الذنوب، (الدَّمِ) الدمع، كأنه بكى الدمع حتى بكى الدم لشدة بكائه، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الزمر:٥٤]، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [سورة الإسراء:١٠٩]، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُم كَثِيراً».

١٦- (قَبْلَ زَوَالِ القَدمِ) من زلت أعماله في الدنيا عن الحق والصواب زل قدمه عن الصراط يوم القيامة، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصراط: «مدحضة مزلة، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق ... فناجٍ مُسَلَّم، ومخدوش مرسل ومكدوس في جهنم».

(وقَبْلَ سُوءِ المَصْرَعِ) سوء الخاتمة، يصرعه ملك الموت، ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الزمر:٥٦] الآيات. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة المؤمنون:٩٩-١٠٠] الآية.



١٧	واخْضَـعْ خُضُـوْعَ المُعْـتَرِفْ	ولُــذْ مَــلاَذَ المُقْــتَرِفْ
١٨	واعْـصِ هَـوَاكَ وانْحَـرِفْ	عَنْـهُ انْحِـرَافَ المُقْلِـعِ

الشرح

١٧- (واخْضَعْ) تذلل وتواضع لربك، (خُضُوْعَ) مثل خضوع وتذلل (المُعْتَرِفْ)بذنبٍ جناه يرجو العفو عنه، (ولُذْ) الجأ إلى الله تعالى ليقبلك (مَلاَذَ) ملجأ (المُقْتَرِفْ) المذنب إذا تاب وصدق فإنه يلجأ إلى الله تعالى ويتذلل بين يديه ليلاً ونهاراً، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥ﴾ [سورة القصص:١٦]، ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأعراف:٢٣]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [سورة التحريم:٨]، وفي قصة ماعز الأسلمي موعظة في عظمة توبته وصدقه مع الله تعالى.

١٨- (واعْصِ) خالف (هَوَاكَ) فإن الهوى يهوي بصاحبه في النار، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة ص:٢٦].

(وانْحَرَفْ) مِل عنه وجانِبْه، (انْحرَافَ المُقْلِعِ) عن الذنب لا يلتفت إليه أبداً ولا يرجع إليه، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأحزاب:٢٣].



١٩ إِلاَمَ تَسْـــــــهُو وَتَنِــــــــي ومُعْظَـــــمُ العُمْـــــرِ فَنِــــي

٢٠ فِــــيمَا يَضُرُّ المُقْتَنِــــــي ولَسْــــــتَ بالمُرْتَـــــــدِعِ

الشرح

١٩- (إِلاَمَ) إلى متى (تَسْهُو) السهو: النسيان والغفلة، (وَتَنِى) تضعف وتفتر وتتكاسل وتتأخر عن التوبة والمسارعة في الطاعات حتى تموت؟ ثم تقول: يا ليتني قدمت لحياتي، يا ليتني تبت قبل الموت؟ يا حسرتا! يا ويلتا! يا ثبوراه! ... كل هذا لا ينفع بعد فوات الأوان، (ومُعْظَمُ) أكثر (العُمْرِ فَنِى) ذهب وانقضى في الغفلات، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [سورة فاطر:٣٧]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أعذر الله إلى امرئ بلغه الستين» أي: لا عذر له في ترك الطاعات والتفريط فيها والتواني في التوبة.

٢٠- (فِيمَا يَضُرُّ المُقْتَنِي) الاقتناء: تملك الشيء وادخاره لنفسه، وكأن المراد: جمع الدنيا، فالإنسان يجمعها فتضره لا سيما إذا شغلته عن الطاعة، ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [سورة التكاثر:١-٢]، شغلكم جمع الدنيا وطلب الكثرة فيها حتى متم ودفنتم.

(ولَسْتَ بالمُرْتَدِعِ) الكاف عن جمع الدنيا والانشغال بها حتى ترحل عنها بلا عمل ولا حسنات، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتقوا الدنيا واتقوا النساء»، أي: احذروا فتنة الدنيا، وقال: «من أحب دنياه أضر بآخرته»، صحيح الجامع.

وقد يراد بالمقتني: المذنب، تجمع ذنوبه في صحائفه، فهو من باب التشبيه.



٢١ أَمـــا تَـــرى الشَّـــيْبَ وَخَـــطْ	وخَـــطَّ في الـــرأسِ خُـــطَطْ
٢٢ ومَـــن يَلِـــحْ وخْـــطُ الشَّـــمَطْ	بِفَـــــوْدِهِ فَقَـــــدْ نُعِـــــي

الشرح

٢١- (أَما تَرى) بعينك فتعتبر، (الشَّيْبَ) بياض الشعر في اللحية والرأس، (وَخَطْ) خالط شعر الرأس حتى صار (خُطَطْ) بعضه أسود وبعضه أبيض كالخطوط المختلفة الألوان، (ومَن يَلِحْ) ظهر ولمع (الشَّمَطْ) بياض الشعر يخالطه سواد (بِفَوْدِهِ) معظم شعره مما يلي الأذن، لأنه أسرع إلى الشيب من غيره، (فَقَدْ نُعِي) دنا موته، فهو علامة على قرب الأجل، والشيب نذير وواعظ كل إنسان من نفسه، فإن شابَ في معصية فقد بلغ الذم به منتهاه.

مـــا أقـــبح التفـــريط في زمـــن الصـــبا	فكيف به والشـيب للـرأس شـاعل
ويَقْـــبُح بـــالفتى فِعْـــلُ التَّصـــابي	وأقـــبحُ منـــه شـــيخاً قـــد تفَتَّـــى

أي: فعل كفعل الفتى الشاب الطائش.

ومن شاب على الطاعة فليبشر، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الشيب نور المؤمن، لا يشيب رجل شيبة في الإسلام إلا كانت له بكل شيبة حسنة ورفع بها درجة»، «صحيح الجامع»، وفي رواية: «إلا كانت له نوراً يوم القيامة» رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وقال: «ليس أحدٌ أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام لتكبيره وتحميده وتسبيحه وتهليله»، رواه أحمد عن طلحة رضي الله عنه.



٢٣ وَيْحَـكِ يـا نَفْـسُ احْـرَصِي عـلى ارْتِيَـادِ المَخْلَـصِ
٢٤ وطَـاوِعِي وأخْلِصِي واسْـتَمِعِي النُّصْـحَ وَعِـي

الشرح

٢٣- (وَيْحَكِ) كلمة عتاب وترحُّم، (يا نَفْسُ) يحاسب نفسه ويدعوها إلى النظر فيما ستقدم عليه، (احْرَصِي) اجتهدي (ارْتِيَادِ) طلب والبحث عن (المَخْلَصِ) الطريق الذي يُنجيك من ورطات الآخرة.

وسبلُ النجاة: التوحيد والاتباع والطاعة، كما أن سبل الهلاك: الشرك والبدعة والمعصية، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب:٧١]، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الأحزاب:٣٦].

٢٤- (وطَاوِعِي) وافقي وليني وانقادي لأمر الله سبحانه، (وأخْلِصِي) الإخلاص: أن يقصد العبد بطاعته وجه الله تعالى، (واسْتَمِعِي النُّصْحَ) سماع قبول (وَعِي) افهمي واعملي، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٢٤].

٢٥- (واعَتبِري) اتعظي (بمَنْ مَضَى) ماتوا وهلكوا في خير أو شر (مِن القُرونِ) السالفة (وانْقَضَى) زمانهم وبقيت أعمالهم يلقون ربهم بها، ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الجاثية:٢٨].



٢٥ واعَتِـــبري بمَـــنْ مَضَى	مِـــن القُـــرُونِ وانْقَضَى
٢٦ واخْشَيْـــ مُفَاجَـــأَةَ القَضَـــا	وحَـــاذِري أَنْ تُخْـــدَعِي
٢٧ وانْتِهجِـــي سُـــبْلَ الهُـــدَى	وادَّكِـــرِيْ وَشْـــكَ الـــرَّدَى
٢٨ وَأَنَّ مَثْـــوَاكِ غَـــدَا	فِي قَعْـــرِ لَحْـــدٍ بَلْقَـــعِ

الشرح

٢٦- (واخْشَيْ) خافي أشد الخوف (مُفَاجَأَةَ القَضَا) الموت، (وحَاذِرِي أَنْ تُخْدَعِي) بالدنيا وملاذتها، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾ [سورة فاطر:٥].

٢٧- (وانْتِهَجِي) اسلكي (سُبْلَ) طرق، وإنما جمعها باعتبار تعدد الأعمال والعبادات، وكلها تدخل تحت سبيل واحد وصراط واحد، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]، فالحق واحد لا يتعدد.

(وادَّكِرِيْ) تذكري (وَشْك) قرب وسرعة (الرَّدَى) الهلاك بالموت، ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝١١٢ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ۝١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١٤﴾ [سورة المؤمنون:١١٢-١١٤]، فالحياة مهما طالت أمد قصير وعمرٌ يسير، فالسعيد من اتخذها مطية للآخرة.

٢٨- (وَأَنَّ مَثْوَاكِ غَدَا) وتذكري يا نفس أن منزلك غداً بعد الموت (فِي قعْرِ) أسفل (لَحْدٍ) لحد القبر (بَلْقَعِ) خالٍ من كل أنيس وجليس إلا العمل الذي قدمه العبد كما في حديث البراء الطويل: «فيأتيه رجل حسن الثياب حسن الوجه فيقول: أنا عملك الصالح»، والفاجر يقول له عمله: «أنا عملك الخبيث»، وقال صلى الله عليه وسلم «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد: يرجع أهله وماله ويبقى عمله»، رواه مسلم.

٢٩	آهًـــا لَـــهُ بَيْـــتِ الـــبِلَى	والمَنْـــزِلُ القَفْـــرُ الخَـــلا
٣٠	ومَـــــوْرِدِ السَّـــــفرِ الأُولَى	واللاَّحِـــــقِ المتَّبَـــــعِ
٣١	بَيْـــتٌ يُـــرى مَـــنْ أُودَعَـــهْ	قَـــدْ ضَـــمَّهُ واسْـــتَوْدَعَهْ
٣٢	بَعْـــدَ الفَضَـــاءِ والسَّـــعَةْ	قَيْـــدَ ثَـــلاَثِ أَذْرُعِ

الشرح

٢٩- (آهًا) كلمة توجع وتألم - وهو اسم فعل مضارع - أتوجع منه.

(بَيْتُ البِلَى) الفناء، والمراد: أن جسده يبلى حتى يصير تراباً، (والمَنْزِلِ) الذي سينزله العبد بعد موته (القَفْرِ الخَلاَ) الخالي من كل مؤنس كما سبق.

٣٠- (ومَوْرِدِ) موضع نزولهم، (السَّفْرِ الأُولَى) السابقون من الخلق، (واللاَّحِقِ المتَّبَعِ) من بعدهم من الخلق، كان ﷺ إذا زار المقابر قال: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، أنتم السابقون ونحن اللاحقون».

الموت كأسٌ وكـل النـاس شـاربه والقبر بيـت وكـل النـاس داخلـه

٣١- (بَيْتٌ يُرىَ مَن أُودِعَهْ) القبر يرى الناسُ من وضع فيه، (قد ضَمَّهُ) أغلق عليه (واسْتَوْدَعَهْ) فلا مخرج له منه إلى يوم القيامة، ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [سورة المؤمنون:١٠٠].

٣٢- (بَعْدَ الفَضَاءِ) في الدنيا (والسَّعَةْ) فيها يتنقل منها حيث شاء ثم وضع في القبر الضيق (قَيْدَ) مقدار (ثَلاثِ أَذْرُعِ) ثم يزاد ضيقاً إن ساء العمل، أو يتسع مد البصر إن حسن العمل، اللهم يسر لنا فعل الخيرات وترك المنكرات!



٣٣ لا فَـــــــــرْقَ أَنْ يَحِلَّــــــــــهُ	دَاهِيَـــــــــــةٌ أَوْ أَبْلَـــــــــــهُ
٣٤ أَوْ مُعْسِرٌ ــــــ أَوْ مَـــــنْ لَـــــهُ	مُلْـــــــكٌ كَمُلْـــــكِ تُبَّـــــعِ
٣٥ وبَعـــــدَهُ العَــــــرْضُ الَّـــــذِي	يَحْـــــوِي الحَيِـــــيَّ وَالبَـــــذِي
٣٦ والمُبْتَـــــــــدِي والمُحْتَـــــــــذِي	ومَـــــنْ رَعَـــــى ومَـــــن رُعِـــــي

الشرح

٣٣- (لا فَرْقَ) بين الناس في القبر (أَنْ يَحِلَّهُ) ينزل فيه ويطول مكثه، (دَاهِيَةٌ) الذكي الفطن لدقيق الأمور وكبيرها، (أَوْ أَبْلَهُ) الأحمق الضعيف في عقله ورأيه.

٣٤- (أَوْ مُعْسِرٌ) فقير مسكين (أَوْ مَنْ لَهُ مُلْكٌ) من الملوك والزعماء والعظماء والأغنياء ولو ملك (كَمُلْكِ تُبَّعِ) ملك اليمن في زمانه من ملوك حمير، لا فرق بين هذا وهذا إلا بالتقوى، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات:١٣].

٣٥- (وبَعدَهُ) بعد القبر (العَرْضُ) الحشر والعرض على الله سبحانه وتعالى، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الحاقة:١٨].

(الذِي يَحْوِي) يجتمع فيه (الحَيِيَّ) ذو الحياء (وَالبذِي) الفاحش اللفظ والكلام.

٣٦- (والمُبْتَدِي) من ابتدأ فعل الشيء كالزعماء والعلماء والكبراء، (والمُحْتَذِي) المقتدى بهم من الأتباع، (ومَنْ رَعَى) كالولاة، (ومَن رُعِي) كالرعية، قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف:٤٧].



٣٧	فيَـــــا مَفَــــــازَ المُتقَّـــــــى	ورِبْـــحَ عَبْـــدٍ قَـــدْ وُقِـــي
٣٨	سُـــــوءَ الحِسَـــــابِ المُوبِـــقِ	وهَـــــوْلَ يَـــــومِ المَفْــــزَعِ
٣٩	ويـــــا خَسَــــارَ مَـــنْ بَغَـــى	ومَـــنْ تَعَــــدَّى وطَغَــــى
٤٠	وشَــــبَّ نِـــيْرانَ الـــوَغى	لِمَطْعَــــــمٍ أَوْ مَطْمَـــــعِ

الشرح

٣٧- (فيَا مَفَازَ) بشراه بالفوز والنجاة، (المُتِقَّي) الذي أدى حق الله تعالى وحق خلقه، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة النبأ:٣١-٣٣] الآيات. (ورِبْحَ) الربح: الزيادة على رأس المال، وهو ضد الخسارة. (عَبْدٍ) اجتهد لهذا اليوم، (قَدْ وُقِي) كفي ونجاه الله تعالى .

٣٨- (سُوءَ الحِسَابِ) وشدائده، (المُوبِقِ) المهلك، (وهَوْلَ) شدائد وأحوال (يَومِ المَفْزَعِ) الأكبر يوم القيامة، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة النمل:٨٩]، ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [سورة الانشقاق:٨-٩].

٣٩- (ويا خَسَارَ) ضد الربح، وهو ضياع رأس المال، ورأس مالك عمرك، (مَنْ بَغَى) تعدى وظلم ، (وطَغَى) أسرف في الظلم والذنوب، ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة النازعات:٣٧-٣٩].

٤٠- (وشَبَّ) أوقد ونفخ (نِيْرانَ الوَغَى) الحرب بالباطل، وقد يُراد به: دعا إلى الذنوب ودافع عنها، (لِمَطْعَمِ) مأكل (مَطْمَعِ) دنيوي من شهوات أو شبهات أو جاه ورياسة.

وقال سبحانه: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧]، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الزمر:١٥].



٤١	يـــا مَـــنْ عليـــهِ المُتَّكَــلْ	قَـــد زادَ مَـــا بي مِـــن وَجَـــلْ
٤٢	لِـمَــا اجْتَرَحْــتُ مِــن زَلَــلْ	فِي عُمْـــرِي المُضَـــيَّعِ
٤٣	فَـــاغْفِرْ لِعَبْـــدٍ مُجْـــتَرِمْ	وارْحَـــمْ بُكَـــاهُ المُنْسَـــجِمْ
٤٤	فأنـــتَ أَوْلَى مَـــن رَحِـــمْ	وخَـــيْرُ مَـــدْعُوٍّ دُعِـــي

الشرح

٤١- (يا مَن عَليهِ المُتَّكَلْ) المعتمد، والتوكل: صدق اعتماد القلب على الله سبحانه، (قَد زَادَ) كثر (مَا بِي) بقلبي (مِن وَجَلْ) خوف، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الأنفال:٢].

٤٢- ثم ذكر سبب الخوف (لِمَا اجْتَرَحْتُ) اكتسبت بجوارحي من قول أو فعل لا يرضيك (مِن زَلَلْ) من ذنوب، (فِي عُمْرِي المُضَيَّعِ) الذي أضعته فيما لا يعود بنفع لآخرتي، ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الزمر:٥٦]، ﴿ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [سورة الأنعام:٣١].

٤٣- (فاغْفِرْ لِعَبْدٍ مُجْتَرِمْ) مذنب، والجرم: الذنب العظيم، ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ [سورة نوح:١٠]، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [سورة الزمر:٥٣].

(وارْحَمْ بُكَاهُ المُنْسَجِمْ) السائل، يريد أنه كثير البكاء والدموع خوفاً من الله تعالى، ومن صدق في ذلك فيرجى له أن يدخل في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله...».

٤٤- (فأنتَ أَوْلَى مَن رَحِمْ) الله أرحم الراحمين واسع الرحمة، فمن طرق أبواب الرحمة يرجى له أن يظفر بها، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩﴾ [سورة الحديد:٩]، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١١٨﴾ [سورة المؤمنون:١١٨].

(وخَيْرُ مَدْعُوٍّ دُعِي) اللهم ارحمنا وتقبل منا يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

